بتاريخ 13 جمادى الثانى 1445
الاوامر

الجلسة 43

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمْ
الْحَمْدُ للّه رَبِّ الْعَالَمِينْ وَصَلَى الله عَلَىٰ سَيِّدَنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينْ

تنقيحُ مغزى الكلام النفسيّ في الجمل الإخباريّة
حتى الآن قد فسَّرنا الكلام النفسيّ في الإخباريّات بألوانِ الاحتمالات:

1. إن الكلام النفسيّ هو حصول تصويرٍ في جوف النفس بحيث يَنبَع عن الكلام اللفظيّ، وقد ضربنا هذا المحتمل بثلاثِ إشكالاتٍ مضت.

2. الكلام النفسيّ هو الطلبُ الإنشائيُّ فحسب، ولكنَّه مرفوض أيضاً إذ الأشاعرةُ قد أقرّوا بالكلام النفسي في الجُملِ الإخبارية و الإنشائيّة معاً.

3. الكلام النفسيّ هو نفسُ مقالةِ المحقِّق الرشتيّ: أي الإقرارُ بالنسبة الحكميّةِ في النفس والإذعانُ بصورتِها لا بنفسِها، فهذا المحتملُ معقولٌ بل يُطابِق مقالةَ الأشاعرةِ تماماً وفقاً لتأييد المحقّق الاصفهانيّ أيضاً ولكنّهم وفقاً لهذا المحتملِ سيُواجِهُونَ باعتراضٍ وهو أنَّ هذه الصورةَ النفسيَّةَ تُصبِحُ حادثةً لا قديمةً قائمةً بالذات، والآن نَستحضر لک عبارة الأشاعرة لكي تَتّضِحَ لک هذه النقطةُ:

إنّ المتكلمَ من قام به الكلام لا من أوجدَ الكلامَ (مضاداً للمعتزلة) و لو فى محلّ آخر للقطع بان موجد الحركة فى جسم آخر لا يسمّى متحرّكا و ان اللّه تعالى لا يسمّى بخلق الاصوات مصوّتا و انا اذا سمعنا قائلا يقول انا قائم سمّيناه متكلّما و ان لم نعلم انه الموجد لهذا الكلام بل و ان علمنا ان موجده هو اللّه تعالى كما هو راى اهل الحق و حينئذ فالكلام القائم بذات البارى تعالى لا يجوز ان يكون هو الحسّى اعنى المنتظم من الحروف المسموعة لانه حادث ضرورة ان له ابتداء و انتهاء فان الحرف الثّانى من كل كلمة مسبوق بالاول مشروط بانقضائه فيكون له اول فلا يكون قديما و الحرف الاول ايضا لمّا كان له انقضاء لا يكون قديما لامتناع طريان العدم على القديم و المجموع المركب منهما ايضا لمّا كان له انقضاء لا يكون قديما و الحادث يمتنع قيامه بذات البارى تعالى.[1]

إذن فالأشعريُّ يرى الكلامَ النفسيَّ من نمط الصفاتِ الثبوتيّةِ القائمةِ بالذات الإلهيّ ثمّ أوجدها بالأصوات و الحروف و... بينما المعتزلة قد حصرتِ الكلام النفسيَّ الإلهيَّ في الصفاتِ الفعليّةِ الإلهيّة فحسب، فمعنى تكلّمِ الله هو إيجادُ الكلام في الخارج فقط.

4. الكلامُ النفسيّ هو نفسُ مقالةِ المحقّق الاصفهانيّ بأنه صفةٌ قائمةٌ بالذات موجودةٌ بنفسِها لا بصورتِها فالنفسُ تُحقّقُ نفسَ الصفة الكلاميّةِ في باطنها وتُعطيها وجوداً نوريّاً في جوفِها، فلا تَخلُقُ تصويرَ الكلام فحسب، ثمَّ أيّدَ المحققُ الاصفهانيُّ هذا المحتملَ ـ للكلام النفسيّ ـ بأنه أمر معقولٌ من جانبِ الأشعريّ إلا أنّ عقلَ الأشعريَّ لم يَتوصَّل إلى هذا الاحتمال فلم يَقصُدها أساساً بل ظاهرُ كلامِهم هو ما تفوّه به المحقّق الرشتيّ.

و نَعترضُ طريقَ المحقّق الاصفهانيَّ بأنّ الأشعريَّ قد فسّرَ الكلامَ النفسيَّ بالصفة القائمةِ بالذات فلم يُقيّدها "بنفسِها" لكي يُواجهَ الإشكالَ بأنّ تواجدَ نفسِ الصفةِ في النفس لا يَقعُ مدلولَ اللفظِ، فبالتالي إن المحقق الاصفهانيّ لم يَستدلّ على بطلانِ تفسير المحقّق الرشتيّ بأنّ الكلامَ النفسيَّ هو الإقرارُ بالنسبة الحكميّة المتصوّرةِ في النفس، ولهذا فينحصرُ مَرامُ الأشاعرةِ في هذه النسبةِ الحكميّة ثمّ يُعترَضُ عليهم بأنها حادثةٌ.

فلو دافعَ المحقّقُ الاصفهانيُّ ـبأن الكلام النفسيَّ يُعدّ قديماً قائماً بالذات فيَجب افتراضُ وجودِ الصفةِ القديمةِ لا صورتِها إذ الصورةُ تُعدّ من الكيفيّات النفسانيّة العارضيةِ فتُصبحُ زائدةً على الذات، ولهذا افترضنا تواجدَ نفس الصفةِ لكي لا يَردَ الإشكالـ لأجابَته الأشاعرةُ وفقاً لتصريح المحقّق الرشتيّ، بأنّا نَعتقدُ حضورَ صورة الصفة الكلاميّة ضمن النفس وفى نفس الحين نَعُدَّها قديمةً أيضاً.

نعم، هذا التناقُضُ ـصورةُ الصفة مع قِدَمِهاـ هو نفسُ الإشكالِ المُوجّهِ إليهم بأنه كيف يعتقدُ الأشعريُّ بقِدَمِ الصفةِ وفى نفس الحين تُتصوَّر من الكيفيات العارضةِ فهذا يَستتبعُ زيادةَ الصفةِ على الذات الإلهيّ، ففي الحقيقةِ، هذا التهافُتُ هو ما نراه في كلامهم، بينما المحقّقُ الاصفهانيّ قد فسره وفقاً لمَبناه ـحضور نفس الصفة الكلاميّة في النفسـ ثمّ قالَ بأن الأشعريَّ لا يَستوعبُ عقلُه ذلک، إلا أنّ ظاهرَ كلامهِم هي النسبةُ الحكمية التصوريّةُ فيَرِدُ عليهم الإشكالُ ـحدوثُ هذه الصفةـ.

مراجعةٌ قصيرةٌ لمقالاتِ الأعلامِ الماضين

لقد أسلفنا مسبقاً بأنّ الذي يُقرّ باالكلام النفسيّ فعليه أن يُغايرَ ما بين الطلب و الإرادة بينما الذي يَعتقد بتغايرهما لا يَلزمه الإقرارُ بالكلام النفسيّ كما سجّله السيدُ البروجرديّ و المحقّق النائينيّ حيث قد صَدَّ طريقَ الآخوند القائلِ بأنّ الجملةَ الخبريّةَ ليست سوى النسبَةَ و الجملةَ الإنشائيّةَ ليست عدا الإرادةَ، بينما المحقّقُ النائينيُّ قد استحضَرَ وِجدانَه بأنه: لا ينبغي الإشكال في أنّ هناك وراء الإرادة أمر آخر (خلافاً للشيخ الآخوند) يكون هو المستتبعَ لحركة العضلات و يكون ذلك من أفعال النّفس، و إن شئت سمّه بحملة النّفس، أو حركة النّفس، أو تصدّى النّفس، و غير ذلك من التّعبيرات.(و هو الطلب)

فرغمَ أنّ هجمةَ النفس في الإنشائياتِ تُساوِقُ الكلامَ النفسيَّ لأنها صفةٌ نفسانيّةٌ ما وراءَ العلم و الإرادة، إلا أن المحقّقَ النائينيّ قد تفطّنَ إلى مُستهدَفِ الأشاعرة من الكلام النفسيّ بأنه صفةٌ ذاتيّةٌ قائمةٌ بالنفس بينما تحريكُ النفس و... ليست صفةً ذاتيّةً.

وتنقيحاً أحرى لمَنويّ الأشعريّ نقول بأنهم بدايةً قد طبّقوا الكلامَ النفسيَّ على الذاتِ الإلهيّ ثم طبقوه على الإنسانِ في جملاتِه الخبريّة و الإنشائيّة فإنّها تُعدّ كلاماً نفسياً لأن هذه الجُمَل تَستَبطنُ الإقرارَ الباطنيَّ بالنسبة الحكميّة بتصويرها لا بوجودها، فهذا الإقرارُ يُعدّ كيفاً انفعاليّاً أو كيفاً فعليّاً من مخلوقات النفس، ولهذا سيَدُلّ عليه اللفظُ إلا أنّه ليس بقديمٍ ذاتيٍّ ـمُضادّاً للأشاعرةـ.

إذن ثمةَ تمايزٌ ما بين النسبة الحكميّة التي هي متعلقُ الإقرارِ النفسيّ وبين نفس إقرار النفس، وذلک وفقاً لتصريح المحقّق الاصفهانيّ:

و على أيّ حال فلا ربط له بنفس الإقرار النفسيّ و الكلام في النسبة (الحكمية) المتعلّق بها الإقرار الّذي هو فعل من أفعال النّفس، و ما نقول بدلالة الجملة عليه بنفسها أو بضميمة أمر آخر نفس النسبة و هي لها شئون من كونها متصوّرة و مرادة، و متعلّقاً لإقرار النّفس بها، و ما يجدى الأشعري و يكون التزاماً بالكلام النفسيّ، كون الحكم و الإقرار المزبور مدلولًا للجملة و قد عرفت استحالته (لأنه وجود محض)

وفي نهاية المَطاف لو افترضنا الكلام النفسيَّ من نمطِ فعل النفس و مخلوقها في الباطن لتعقّلناه تماماً و لكنه يُواجِهُ مُعضَلَتين:

1. أنّ الكلام النفسيَّ سيُعدّ حادثاً.

2. ولا يقع مدلولاً للكلام اللفظيّ لأنه وجودٌ محضٌ فلا يدل عليه اللفظ نظير العلم الحضوريّ.

ولهذا قد اكتشفنا أن هذا المُفترَضَ ـ المحقّق الاصفهانيّ ـ ليس مرادَ الأشاعرةِ إذ قد صرّحوا بأن الكلامَ النفسيَّ يقعُ مدلولَ الكلام اللفظيّ وقديميٌّ ذاتيٌّ.

ولكن قد استَشكَلنا عليهم وفقَ ظاهرِ مقولتِهم بأنّ الكلام النفسيّ يُساوي النسبةَ الحكميّة المتصوَّرةَ في النفس لا بوجودها فهذا معقولٌ أيضاً ولكنّهم قد عَجَزوا عن تسجيلِ قِدَم الكلامِ النفسيّ و ذاتيّتِه بهذا المعنى.

تنويرُ مغزى الكلام النفسيّ في الإنشائيات
منذ قليل قد تحدّثنا حول الجملة الإخبارية والآن سنُناقِشُ حقيقةَ الجملة الإنشائية، فقد تشكّلت عدةُ مبانٍ حول حقيقتِها إذ:

1. المشهورُ يَعتقد بأنّ الإنشاء هو إيجاد المعنى باللفظ في عالم الاعتبار.

2. والمحقّق الآخوند يُقرّ بأنه إيجاد المعنى باللفظ في نفسِ الأمر لا في عالم الاعتبار.

3. و المحقّقُ الاصفهانيّ يرى أن الإنشاءَ هو وجودُ المعنى باللفظ لا الإيجاد.

4. والسيّد الخوئيّ يراه إبرازَ الاعتبار النفسانيّ.

والأشاعرة تَعتقدُ بأن وراءَ الإرادة و الطلب يوجَدُ عنصرٌ ثالث يسمى بالكلام النفسيّ.

---
[1] شرح المقاصد للتفتازنيّ جلد 4 ص147